

تفسير ابن كثير

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء فأُنزل الله { قد نرى تقلب وجهك في السماء } إلى قوله : { فولوا وجوهكم شطره } فارتابت من ذلك اليهود وقالوا : { ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب } وقال : { فأينما تولوا فثم وجه الله } وقال الله تعالى : { وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه } وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري عن عمه عبيد الله بن عمر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء فأُنزل الله { فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام } إلى الكعبة إلى الميزاب يؤم به جبرائيل عليه السلام وروى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قمطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالسا في المسجد الحرام بإزاء الميزاب فتلى هذه الآية { فلنولينك قبلة ترضاها } قال نحو ميزاب الكعبة ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلى بن عطاء به وهكذا قال غيره وهو أحد قولي الشافعي B إن الغرض إصابة عين الكعبة والقول الآخر وعليه الأكثر : أن المراد المواجهة كما رواه الحاكم من حديث محمد بن إسحاق عن عمير بن زياد الكندي عن علي بن أبي طالب B { فول وجهك شطر المسجد الحرام } قال شطره قبله ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهذا قول أبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم وكما تقدم في الحديث الآخر [ما بين المشرق والمغرب قبلة] وقال القرطبي : روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس Bهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي] وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه قبلته قبل البيت ؟ وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : لما قدم رسول الله صلى

اﻟﻌﻠﻴﻪ وﺳﻼﻡ ﺍﻟﻤﺪﻳﻨﻪ ﺻﻠﻰ ﻧﺤﻮ ﺑﻴﺖ ﺍﻟﻤﻘﺪﺱ ﺳﺘﻪ ﻋﺸﺮ ﺷﻬﺮﺍ ﺃﻭ ﺳﺒﻌﻪ ﻋﺸﺮ ﺷﻬﺮﺍ ﻭﻛﺎﻥ ﺭﺳﻮﻝ
 ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻳﺤﺐ ﺃﻥ ﻳﺤﻮﻝ ﻧﺤﻮ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻓﻨﺰﻟﺖ { ﻗﺪ ﻧﺮﻯ ﺗﻘﻠﺐ ﻭﺟﻬﻚ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ }
 ﻓﺼﺮﻑ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻭﺭﻭﻯ ﺍﻟﻨﺴﺎﺀﻯ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﺳﻌﻴﺪ ﺑﻦ ﺍﻟﻤﻌﻠﻰ ﻗﺎﻝ : ﻛﻨﺎ ﻧﻐﺪﻭ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻤﺴﺠﺪ ﻋﻠﻰ
 ﻋﻬﺪ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻨﺼﻠﻰ ﻓﻴﻪ ﻓﻤﺮﺭﻧﺎ ﻳﻮﻡﺍ ﻭﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻋﺪ
 ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﻨﺒﺮ ﻓﻘﻠﺖ : ﻟﻘﺪ ﺣﺪﺙ ﺃﻣﺮ ﻓﺠﻠﺴﺖ ﻓﻘﺮﺃ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ : { ﻗﺪ
 ﻧﺮﻯ ﺗﻘﻠﺐ ﻭﺟﻬﻚ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﻓﻠﻨﻮﻟﻴﻨﻚ ﻗﺒﻠﻪ ﺗﺮﺿﺎﻫﺎ } ﺣﺘﻰ ﻓﺮﻍ ﻣﻦ ﺍﻻﻳﻪ ﻓﻘﻠﺖ ﻟﺼﺎﺣﺒﻲ ﺗﻌﺎﻝ
 ﻧﺮﻛﻊ ﺭﻛﻌﺘﻴﻦ ﻗﺒﻞ ﺃﻥ ﻳﻨﺰﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻨﻜﻮﻥ ﺃﻭﻝ ﻣﻦ ﺻﻠﻰ ﻓﺘﻮﺍﺭﻳﻨﺎ
 ﻓﺼﻠﻴﻨﺎﻫﺎ ﺛﻢ ﻧﺰﻝ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻭﺼﻠﻰ ﻟﻠﻨﺎﺱ ﺍﻟﻈﻬﺮ ﻳﻮﻣﻨﺬ ﻭﻛﺬﺍ ﺭﻭﻯ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﺩﻭﻳﻪ
 ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﻤﺮ : ﺃﻥ ﺃﻭﻝ ﺻﻼﺓ ﺻﻼﻫﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﺻﻼﺓ ﺍﻟﻈﻬﺮ ﻭﺇﻧﻬﺎ
 ﺍﻟﺼﻼﺓ ﺍﻟﻮﺳﻄﻰ ﻭﺍﻟﻤﺸﻬﻮﺭ ﺃﻥ ﺃﻭﻝ ﺻﻼﺓ ﺻﻼﻫﺎ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﺻﻼﺓ ﺍﻟﻌﺺﺮ ﻭﻟﻬﺬﺍ ﺗﺄﺧﺮ ﺍﻟﺨﺒﺮ ﻋﻦ ﺃﻫﻞ
 ﻗﺒﺎﺀ ﺇﻟﻰ ﺻﻼﺓ ﺍﻟﻔﺠﺮ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺤﺎﻓﻆ ﺃﺑﻮ ﺑﻜﺮ ﺑﻦ ﻣﺮﺩﻭﻳﻪ : ﺣﺪﺛﻨﺎ ﺳﻠﻴﻤﺎﻥ ﺑﻦ ﺃﺣﻤﺪ ﺣﺪﺛﻨﺎ
 ﺍﻟﺤﺴﻴﻦ ﺑﻦ ﺇﺳﺤﺎﻕ ﺍﻟﺘﺴﺘﺮﻯ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﺭﺟﺎﺀ ﺑﻦ ﻣﺤﻤﺪ ﺍﻟﺴﻘﻄﻲ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﺇﺳﺤﺎﻕ ﺑﻦ ﺇﺩﺭﻳﺲ ﺣﺪﺛﻨﺎ
 ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﺑﻦ ﺟﻌﻔﺮ ﺣﺪﺛﻨﻲ ﺃﺑﻲ ﻋﻦ ﺟﺪﺗﻪ ﺃﻡ ﺃﺑﻴﻪ ﻧﻮﻳﻠﻪ ﺑﻨﺖ ﻣﺴﻠﻢ ﻗﺎﻟﺖ : ﺻﻠﻴﻨﺎ ﺍﻟﻈﻬﺮ ﺃﻭ
 ﺍﻟﻌﺺﺮ ﻓﻲ ﻣﺴﺠﺪ ﺑﻨﻲ ﺣﺎﺭﺛﻪ ﻓﺎﺳﺘﻘﺒﻠﻨﺎ ﻣﺴﺠﺪ ﺇﻳﻠﻴﺎﺀ ﻓﺼﻠﻴﻨﺎ ﺭﻛﻌﺘﻴﻦ ﺛﻢ ﺟﺎﺀ ﻣﻦ ﻳﺤﺪﺛﻨﺎ ﺃﻥ
 ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺪ ﺍﺳﺘﻘﺒﻞ ﺍﻟﺒﻴﺖ ﺍﻟﺤﺮﺍﻡ ﻓﺘﺤﻮﻝ ﺍﻟﻨﺴﺎﺀ ﻣﻜﺎﻥ ﺍﻟﺮﺟﺎﻝ ﻣﻜﺎﻥ ﺍﻟﻨﺴﺎﺀ
 ﻓﺼﻠﻴﻨﺎ ﺍﻟﺴﺠﺪﺗﻴﻦ ﺍﻟﺒﺎﻗﻴﺘﻴﻦ ﻭﻧﺤﻦ ﻣﺴﺘﻘﺒﻠﻮﻥ ﺍﻟﺒﻴﺖ ﺍﻟﺤﺮﺍﻡ ﻓﺤﺪﺛﻨﻲ ﺭﺟﻞ ﻣﻦ ﺑﻨﻲ ﺣﺎﺭﺛﻪ ﺃﻥ
 ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : [ﺃﻭﻟﺌﻚ ﺭﺟﺎﻝ ﻳﺆﻣﻨﻮﻥ ﺑﺎﻟﻐﻴﺐ] ﻭﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﺩﻭﻳﻪ ﺃﻳﺸﺎ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﻋﻠﻲ
 ﺑﻦ ﺩﺣﻴﻢ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﺃﺣﻤﺪ ﺑﻦ ﺣﺎﺯﻡ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﻣﺎﻟﻚ ﺑﻦ ﺇﺳﻤﺎﻋﻴﻞ ﺍﻟﻨﻬﺪﻯ ﺣﺪﺛﻨﺎ ﻗﻴﺲ ﻋﻦ ﺯﻳﺎﺩ ﺑﻦ ﻋﻼﻣﻪ
 ﻋﻦ ﻋﻤﺎﺭﻩ ﺑﻦ ﺃﻭﺱ ﻗﺎﻝ : ﺑﻴﻨﻤﺎ ﻧﺤﻦ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻧﺤﻮ ﺑﻴﺖ ﺍﻟﻤﻘﺪﺱ ﻭﻧﺤﻦ ﺭﻛﻮﻉ ﺇﺫ ﻧﺎﺩﻯ ﻣﻨﺎﺩ
 ﺑﺎﻟﺒﺎﺏ : ﺇﻥ ﺍﻟﻘﺒﻠﻪ ﻗﺪ ﺣﻮﻟﺖ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻗﺎﻝ ﻓﺄﺷﻬﺪ ﻋﻠﻰ ﺇﻣﺎﻣﻨﺎ ﺃﻧﻪ ﺍﻧﺤﺮﻑ ﻓﺘﺤﻮﻝ ﻫﻮ
 ﻭﺍﻟﺮﺟﺎﻝ ﻭﺍﻟﺼﺒﻴﺎﻥ ﻭﻫﻢ ﺭﻛﻮﻉ ﻧﺤﻮ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﺣﻴﺚ ﻣﺎ ﻛﻨﺘﻢ ﻓﻮﻟﻮﺍ ﻭﺟﻮﻫﻜﻢ ﺷﻄﺮﻩ } ﺃﻣﺮ
 ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﺎﺳﺘﻘﺒﺎﻝ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻣﻦ ﺟﻤﻴﻊ ﺟﻬﺎﺕ ﺍﻟﺄﺭﻃﺲ ﺷﺮﻗﺎ ﻭﻏﺮﺑﺎ ﻭﺷﻤﺎﻻ ﻭﺟﻨﻮﺑﺎ ﻭﻻ ﻳﺴﺘﺘﻨﻰ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ
 ﺷﻴﺀ ﺳﻮﻯ ﺍﻟﻨﺎﻓﻠﻪ ﻓﻲ ﺣﺎﻝ ﺍﻟﺴﻔﺮ ﻓﺈﻧﻪ ﻳﺼﻠﻴﻬﺎ ﺣﻴﺜﻤﺎ ﺗﻮﺟﻪ ﻗﺎﻟﺒﻪ ﻭﻗﻠﺒﻪ ﻧﺤﻮ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻭﻛﺬﺍ ﻓﻲ
 ﺣﺎﻝ ﺍﻟﻤﺴﺎﻳﻔﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﺘﺎﻝ ﻳﺼﻠﻰ ﻋﻠﻰ ﻛﻞ ﺣﺎﻝ ﻭﻛﺬﺍ ﻣﻦ ﺟﻬﻞ ﺟﻬﻪ ﺍﻟﻘﺒﻠﻪ ﻳﺼﻠﻰ ﺑﺎﺟﺘﻬﺎﺩﻩ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ
 ﻣﺨﻄﺌﺎ ﻓﻲ ﻧﻔﺲ ﺍﻟﺄﻣﺮ ﺃﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻻ ﻳﻜﻠﻒ ﻧﻔﺴﺎ ﺇﻻ ﻭﺳﻌﻬﺎ .

(ﻣﺴﺂﻟﺔ) ﻭﻗﺪ ﺍﺳﺘﺪﻝ ﺍﻟﻤﺎﻟﻜﻴﻪ ﺑﻬﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺼﻠﻲ ﻳﻨﻈﺮ ﺃﻣﺎﻣﻪ ﻻ ﺇﻟﻰ ﻣﻮﻭﻉ ﺳﺠﻮﺩﻩ
 ﻛﻤﺎ ﺯﻫﺐ ﺇﻟﻴﻪ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻲ ﻭﺃﺣﻤﺪ ﻭﺃﺑﻮ ﺣﻨﻴﻔﻪ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻤﺎﻟﻜﻴﻪ ﺑﻘﻮﻟﻪ : { ﻓﻮﻝ ﻭﺟﻬﻚ ﺷﻄﺮ ﺍﻟﻤﺴﺠﺪ
 ﺍﻟﺤﺮﺍﻡ } ﻓﻠﻮ ﻧﻈﺮ ﺇﻟﻰ ﻣﻮﻭﻉ ﺳﺠﻮﺩﻩ ﻻﺣﺘﺎﺝ ﺃﻥ ﻳﺘﻜﻠﻒ ﺫﻟﻚ ﺑﻨﻮﻉ ﻣﻦ ﺍﻻﻧﺤﻨﺎﺀ ﻭﻫﻮ ﻳﻨﺎﻓﻲ ﻛﻤﺎﻝ
 ﺍﻟﻘﻴﺎﻡ ﻭﻗﺎﻝ ﺑﻌﻀﻬﻢ : ﻳﻨﻈﺮ ﺍﻟﻤﺼﻠﻲ ﻓﻲ ﻗﻴﺎﻣﻪ ﺇﻟﻰ ﺻﺪﺭﻩ ﻭﻗﺎﻝ ﺷﺮﻳﻚ ﺍﻟﻘﺎﻅﻲ : ﻳﻨﻈﺮ ﻓﻲ ﺣﺎﻝ
 ﻗﻴﺎﻣﻪ ﺇﻟﻰ ﻣﻮﻭﻉ ﺳﺠﻮﺩﻩ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﺟﻤﻬﻮﺭ ﺍﻟﺠﻤﺎﻋﻪ ﻻﻧﻪ ﺃﺑﻠﻎ ﻓﻲ ﺍﻟﺨﻀﻮﻉ ﻭﺃﻛﺪ ﻓﻲ ﺍﻟﺨﺸﻮﻉ ﻭﻗﺪ

ورد به الحديث وأما في حال ركوعه فإلى موضع قدميه وفي حال سجوده إلى موضع أنفه وفي حال قعوده إلى حجره .

وقوله : { وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم } أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن ا □ تعالى سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول ا □ A وأمته وما خصه ا □ تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يتكاثمون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا ولهذا تهددهم تعالى بقوله : { وما ا □ بغافل عما يعملون }